ورقة عمل

الاغتيالات خلال الحرب على غزة

قراءة التجربة والفعالية

المـصـدر: مركز غرب آسيا للدراسات

تاريخ الإصدار: 15 كانون الثاني 2024

W.A.R.C
West Asia Research Center

ورقة عمل

الاغتيالات خلال الحرب على غزة

قراءة التجربة والفعالية

2024/1/15

W.A.R.C
West Asia Research Center

فهرس المحتويات

- مقدمة
- لمحة تاريخية عن تجربة الاغتيالات
- الدوافع الأمريكية وأهداف الاغتيالات
- الدوافع الإسرائيلية وأهدافها
- آثار الاغتيال الواقعية (الفشل والنجاح)
- تقييم آثار الاغتيال الواقعية
- التأثير التراكمي لمسار الاغتيالات

➢ مقدمة

الحرب ما بعد طوفان الأقصى شكلت نقطة تحول في إعادة تفعيل برنامج الاغتيالات الأمريكي الإسرائيلي. وشهدت المنطقة مجموعة من العمليات المتتالية التي شكّلت حلقات متسلسلة في استهداف قوى المقاومة. بيد أن اللافت أنها بدأت في الشهر الثالث من الحرب على غزة، أي بعد مضي شهرين على الحرب دون تحصيل إنجاز عسكري ولا أمني داخل فلسطين؛ فكان قرار الاغتيال وتحقيق إنجاز ولو خارج رقعة القتال والنزاع. تحاول هذه الورقة الوقوف تاريخيًّا على تجربة الاغتيالات، والقراءة في الدوافع وأسباب اللجوء إليها، مع تقييم آثارها الواقعية.

➢ لمحة تاريخية عن تجربة الاغتيالات

يتيح الدستور الأمريكي والقانون الدولي اللجوء إلى برنامج القتل المستهدف واستخدام القوة المميتة خارج مناطق النزاع المسلح كملاذ أخير ضد تهديد ملموس ومحدد ووشيك بحدوث ضرر جسيم. حتى في سياق نزاع مسلح ضد جماعة مسلحة، يجوز للحكومة الأمريكية استخدام القوة المميتة فقط ضد الأفراد الذين يشاركون بشكل مباشر في الأعمال العدائية ضد الولايات المتحدة. وعلى الرغم من السياق الذي يؤكّد على الحكومة اتخاذ جميع الخطوات الممكنة لتجنب إيذاء المارة المدنيين، إلا أن السلطة التنفيذية تتجاوز هذه المعايير، وفقًا لبيانات "اتحاد الحريات المدنية الأمريكي" التي تؤكّد استمرار قيام واشنطن تنفيذ عمليات قتل مستهدف غير قانونية في باكستان والصومال واليمن وأماكن أخرى، في انتهاك للدستور والقانون الدولي، وترفع العديد من الدعاوى القضائية وتدافع بانتظام أمام الكونغرس والسلطة التنفيذية من أجل الضغط من أجل المساءلة والشفافية المحيطة بالبرنامج.

ويشكّل كتاب "The Phoenix Program" مرجعًا في تاريخ برامج الاغتيالات التي قادتها الولايات المتحدة منذ بدايات المنتصف الثاني للقرن العشرين. يكشف الكاتب دوغلاس فالنتاين برنامج فينيكس، وهو برنامج عمليات سري تم تصميمه وتنسيقه من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) خلال حرب فيتنام، بمشاركة القوات الأمريكية والأسترالية والفيتنامية الجنوبية. ويهدف البرنامج إلى تحديد البنية التحتية للحركة الشيوعية السرية، الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام (NLF) أو "فييت كونغ"، وتفكيكها والقضاء عليها عبر التسلل والاعتقال والاستجواب والاغتيال. استمر البرنامج من عام 1967 إلى عام 1972 رسميًّا، على الرغم من استمرار بعض الجوانب حتى سقوط سايغون في عام 1975. وفي عام 1969، تم التخلص التدريجي من مسؤولية وكالة المخابرات المركزية، وتم وضع البرنامج تحت سلطة العمليات المدنية ودعم التنمية الثورية (CORDS). ووصل العام 1970عدد مستشاري البرنامج 704 مستشارًا أمريكيًا في جميع أنحاء جنوب فيتنام.

كما يعدّ برنامج فينيكس مرجعًا للحكومة الأمريكية في التركيز على الأهمية المستمرة للتنسيق الاستخباراتي وعمليات مكافحة البنية التحتية في مكافحة التمرد المعاصر. وتزوّد وثائق ويكيليكس، الخميس 18 كانون الأول، بمعلومات حول تقييم برنامج الاغتيالات، الأهداف ذات القيمة العالية(HVT) ، الذي أعدّه في السابع من تموز 2009، مكتب القضايا عبر الوطنية التابع لوكالة المخابرات المركزية (OTI)؛ والمسؤول عن تزويد "كبار صناع السياسات والمخططين العسكريين ومسؤولي إنفاذ القانون في الولايات المتحدة بالتحليل والتحذير والدعم في الأزمات". وتكشف المراجعة المنشورة عمليات الاغتيال التي نفذتها دول مختلفة ضد العديد من الحركات والجماعات، ومنها حركة طالبان، والقاعدة، والقوات المسلحة الثورية الكولومبية، وحزب الله، ومنظمة التحرير الفلسطينية، وحماس، وجبهة التحرير الوطني الجزائرية، وغيرها. كما

يكشف التقييم "نهج التقليم" الذي تتبعه وكالة المخابرات المركزية في اختيار الأهداف من أجل التأثير؛ من كبار القادة أو العناصر الذين يشكلون أهمية بالنسبة للوظائف الأساسية. ولدى وكالة المخابرات المركزية تاريخ طويل في المساعدة على قتل القادة في جميع أنحاء العالم وقد ونجحت وكالة المخابرات الأمريكية منذ عام 1945 في عزل أو قتل عدد من القادة، لكنها اضطرت إلى تقليص عددها بعد تحقيق أجراه مجلس الشيوخ في السبعينيات.

وتركز عمليات الاغتيال في العقود الأخيرة على استخدام الطائرات بدون طيار، وتحديدًا في وقت رئيسي من تطور حروب الطائرات بدون طيار – بين عامي 2011 و2013، ويُستخدم مصطلح "عمليات القتل المستهدف" كتوصيف أكثر مقبولية من "الاغتيال" تماهيًا مع قرار الحكومة الامريكية حظر "الاغتيال" على أيدي أفراد أميركيين، منذ عهد الرئيس جيرالد فورد، (1974-1977). وتستخدم عندما يكون هناك تهديد "وشيك" و "مستمر" ويكون هناك "شبه يقين" بأن الهدف المقصود سيتم القضاء عليه. وتدير وكالة المخابرات المركزية وقيادة العمليات الخاصة المشتركة التابعة للجيش الأمريكي برامج اغتيال موازية تعتمد على طائرات بدون طيار. وتكشف وثائق سرية تتعلّق ببرامج الاغتيال الأمريكية، اطّلع عليها فريق عمل "ذا انترسبت" (The Intercept) ، وقام بتحليلها، عملية تطبيع الاغتيال كعنصر أساسي في سياسة الولايات المتحدة لـ "مكافحة الإرهاب"، كما تعكس العقلية التالية: «هذه العملية يمكن أن تنجح. يمكننا حل مكامن الخلل. يمكننا أن نعذر الأخطاء. وفي نهاية المطاف، سنصل إلى النقطة التي لا نضطر فيها إلى العودة باستمرار ... ونشرح لماذا قُتلت مجموعة من الأبرياء".

وتتقاطع إجراءات الكيان المؤقت الصهيوني على مدى العقود السبعة الماضية من الاغتيالات والاعتقالات ومحاولة القضاء على تفكيك خلايا المقاومة مع برنامج فينيكس، حيث بلغ مجموع عمليات الاغتيال داخل الأراضي الفلسطينية وخارجها خلال 71 عامًا أكثر من 2700 عملية، بمعدل 38عملية سنويًّا. وقد نشط البرنامج في السنوات الأخيرة في الضفة الغربية عبر عمليات الملاحقة والاعتقال واستهداف البنية التحتية للمقاومة الفلسطينية. وتشير الاغتيالات الأمريكية الإسرائيلية خلال الحرب على غزة 2023 إلى تفعيل برنامج الاغتيالات مجددًا في مواجهة محور المقاومة؛ في سوريا ولبنان وإيران والعراق، واستهداف مجموعة من القادة الميدانيين والإعلاميين. وقد فعّل الكيان المؤقّت والولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية "قطع الرأس" باستخدام الطائرات دون طيار، التي تقوم على إزاحة القيادة الرئيسة أو المتوسطة أو القضاء المنهجي على الأعضاء الأساسيين للحركات المقاومة. فما بين 26 كانون الأول 2023 و4 كانون الثاني 2024، اغتيل القائد في الحرس الثوري السيد رضي الموسوي في سوريا، والقائد الفلسطيني الشيخ صالح العاروري في لبنان، والقائد العراقي في الحشد الشعبي أبو تقوى السعدي، في المنطقة الخضراء في بغداد. وقد تبنّت رسميًّا الحكومة الأمريكية عملية استهداف القائد السعدي في العراق.

➢ الدوافع الأمريكية وأهداف الاغتيالات

الدوافع العامة: هي الدوافع الاستراتيجية الكليّة التي حرّكت باتجاه القيام بعملية الاغتيال، مباشرة كما في العراق أو غير مباشرة عبر الكيان، كما في سوريا ولبنان.

- الحفاظ على صورة الهيبة الأمريكية.

- الانتقال من حالة التردد وإظهار ضعف الردع إلى مستوى أعلى دون سقف الحرب الشاملة.
- استجابة للضغوط السياسية الأمريكية والإسرائيلية في ضرورة الرد لترميم الردع.
- الضغط على قيادات المحور وتخويف القاعدة الشعبية.

الدوافع الخاصة: هي الدوافع الخاصة المحرّكة نحو الاغتيال وفق الساحة التي نُفّذت فيها عملية الاغتيال.

- محاولة ردع قوات المقاومة العراقية عن استهداف القواعد الأمريكية في العراق وسوريا.
- عرقلة وتعقيد مسارات تقدّم عمليات الاستهداف للقواعد الأمريكية، وإرباك العمل الميداني وإشغاله مع الوقت.
- محاولة التأثير على الحكومة العراقية باتجاه تغيير سلوكها وموقفها من استهداف القواعد عبر رفع ضغط التهديد وإظهار الاستعداد لرفع المخاطر.

➢ الدوافع الإسرائيلية وأهدافها

الدوافع العامة: هي المحرك العام الكلي لإعادة تفعيل الكيان برنامج الاغتيالات نتيجة تداعيات طوفان الأقصى، 7 تشرين الأول 2023.

- تسجيل إنجازات تراكمية وصور نصر لتصديرها خارجيًّا وداخليًّا في استعادة الردع وكبح التهديد.
- الانتقام والإيلام والرد على ما حدث في طوفان الأقصى.
- محاولة رفع معنويات المستوطنين والمؤسسة العسكرية والأمنية.
- محاولة ردم الخسائر الميدانية في الحرب على غزة.
- محاولة ردع حركات المقاومة عن تهديد الكيان.
- إظهار القدرة على استعادة الإمساك بزمام المبادرة والتحكّم بالمواجهة.

الدوافع الخاصة: هي الدوافع المحرّكة نحو الأهداف التفصيلية المطلوب تحقيقها في كل ساحة أو ميدان.

- محاولة التأثير على خط الإمداد اللوجستي بين طهران وبيروت.
- كبح تنفيذ العمليات ضد الكيان وإرباك العمل الميداني.
- اختبار النوايا والاستعدادات وجسّ النبض لدى حزب الله.
- استفزاز واستدراج للتصعيد على الجبهة الشمالية لاستدراج الأمريكي إلى التصعيد ضد إيران بالمقابل.
- توليد حالة من الخوف والهلع والتوتر لدى البيئات الحاضنة للمقاومة وقواعدها.
- محاولة شلّ المجموعة المسؤولة عن إطلاق الصواريخ.
- العقاب والاقتصاص، بحسب تعبير الإسرائيلي، من حركة حماس.

➢ آثار الاغتيال الواقعية (النجاح والفشل)

يؤشر اللجوء إلى عمليات الاغتيال في الشهر الثالث من الحرب على غزة إلى ضعف رصيد منجزات الكيان في الحرب العسكرية وعجزه عن ردم الهشاشة التي كشفها طوفان الأقصى، وانكشاف دوره الوظيفي في المنطقة. لذا، يسعى الكيان إلى مراكمة النقاط بكل الوسائل المتاحة مستفيدًا من القدرات التكنولوجية المتقدّمة والدعم الأمريكي غير المسبوق.

آثار النجاح:

- نجاح على مستوى الاختراق الأمني والاستخباراتي وتجنيد العملاء.
- التميّز بالقدرات التكنولوجية العالية الدّقة.
- النجاح النسبي في الإرباك الابتدائي للميدان وإدخاله في حالة مؤقتة من الفوضى، لكن فقط على مستوى المدى القريب، ريثما تعاود الهيكلية تنظيم تموضعها مجددًا.
- احتمال تقليل الفعالية مؤقتًا مع استنزاف الموارد البشرية، لكن القابلة للتجدد.
- النجاح في الوصول إلى الهدف الأمني المحدد والمطلوب.
- القدرة على تنفيذ الضربة "الجراحية" مع القدرة على الإنكار وعدم التبنّي لها.

آثار الفشل:

- لا تغيير في مسار عمليات القتال والاستهداف أو مسار الحرب، بل على العكس تصاعدت الردود من المحور، وانتقل إلى مرحلة الأهداف النوعية باستهداف قاعدة ميرون الاستخباراتية الجوية ومركز القيادة الشمالية في صفد.
- حفاظ المحور على المبادرة الفعالة وعدم ضعف أو انخفاض القدرة التشغيلية.
- استمرار التهديد والضغط من قبل المحور على الكيان المؤقّت والوجود الأمريكي والحفاظ على فعالية الأداء.
- استمرار الدعم الشعبي والتفاف قاعدة المقاومة ضد العدو، بل على العكس تزداد النقمة أكثر مع استمرار الحرب على غزة وارتكاب عمليات الاغتيال.
- عدم توقف الكيان والأمريكي عن الاستهداف يعني أن العمليات لم تحقق المطلوب منها.
- لم تحدث العمليات ضررًا لا يمكن إصلاحه لدى المنظومة أو الشبكة المستهدفة.
- لا ضمانة أن من سيخلف القائد المستهدَف لن يكون تهديده أشد وطأة على المغتال.

➢ تقييم آثار الاغتيال الواقعية

يشير تقييم آثار استراتيجية الاغتيال أو قطع الرأس إلى هشاشة الفعالية. ويعترف المراسل العسكري الإسرائيلي، ألون بن ديفيد، في مقالة له في صحيفة معاريف، أن سياسة الاغتيالات "لا تؤدي إلى إنهاء ظاهرة قيادات المقاومة والنشطاء الفلسطينيين، بل إلى استبدال آخرين بهم"، وأنها قد تقود إلى نتائج عكسية وإلى "تغذية دوامة الدم والعنف وتوسيعه"، بحسب تعبيره.

وتؤكّد التجارب التاريخية والحيّة هذه النتيجة، فقد خسرت الولايات المتحدة الحرب والقضاء على المقاومة الفيتنامية على الرغم من رصيد الاستثمار الأمريكي المادي والبشري الكبير في برنامج فينيكس والذي نجح بتحييد 81,740 شخصًا يشتبه بعضويتهم في رأس المال الاستثماري للمقاومة الفيتنامية؛ قُتل منهم 26,369 شخصًا، بينما استسلم الباقون أو تم القبض عليهم.

إنّ الفوائد المتصورة من اغتيال القادة يقابلها حقيقة ضآلة الأدلة على الاغتيالات الناجحة. أورد تحليل لوكالة المخابرات المركزية لفوائد اغتيال زعيم الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة أبو الليث الليبي ونائبه في وزيرستان في كانون الثاني 2008 بضربة صاروخية أمريكية، أن العملية أدت إلى "ربما عرقلة اندماج المجموعة مع تنظيم القاعدة"، وللمفارقة تم تفكيك الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، لكن أصبح العديد من كبار قادتها فيما بعد أعضاء رئيسيين في تنظيم القاعدة.

وتشكّل تجربة المقاومة الفلسطينية خير دليل على ضعف فعالية الاغتيالات. كما تحدثت التقديرات الاستخباراتية عن احتمال ضعف معنويات قواعد حماس لاغتيال مؤسسيها الشيخ أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي بهجمات صاروخية إسرائيلية في عام 2004. ومع ذلك فقد أشار تقرير وكالة المخابرات المركزية إلى أن "طبيعة حماس شديدة الانضباط وشبكة الخدمات الاجتماعية واحتياطي القادة المحترمين سمحت لها بإعادة تنظيم نفسها بعد عملية القتل". لم تنجح سلسلة الاغتيالات في القضاء على مصدر الخطر على الكيان أو ارتداع الفصائل عن التحرك ضد الكيان؛ فاغتيال الدكتور فتحي الشقاقي شكّل دافعًا قويًّا لدى التنظيم الذي أسسه ليصبح قوة أكثر تهديدًا لأمن الكيان. وتستمر المسيرة من قائد شهيد إلى آخر، والأمثلة عديدة من اغتيال القيادي "بهاء أو العطا"، ومن بعده القائد "تيسير الجعبري"، واليوم اغتيال الشيخ صالح العاروري، ولكن جميع هذه العمليات الأمنية لم تستنزف عزيمة فصائل المقاومة وإرادتها.

وفي تجربة مماثلة وموازية في المقاومة في لبنان، أثبت اغتيال السيد عباس موسوي، أمين عام حزب الله السابق، والحاج عماد مغنية والحاج مصطفى بدر الدين والحاج حسان اللقيس، وغيرهم من القادة الميدانيين أن الاغتيال قد ينجح في توليد اهتزازات لكنها لا ترقى أن تصبح حالة، بل على العكس تستنفر العزيمة والطاقات والإصرار نحو مزيد من التماسك والتنامي وزيادة القدرات، وفي ذلك يقول ألون بن دافيد لقد حوّل السيد حسن نصر الله الذي خلف السيد عباس، " الحزب من جماعة صغيرة إلى جيش منظم". وقد أثبتت تجربة المقاومة على مدى الأربعين عامًا الماضية أنها ظاهرة متجذرة في الفكر والعقيدة والوعي المجتمعي، وأنّ أيًّا من اغتيالات القادة لم توقف المسار التراكمي لبناء القوة والردع.

➢ التأثير التراكمي لمسار الاغتيالات

إنّ هذه التجارب هي جزء من مسيرة المحور برمته، حيث لم تنجح عمليات اغتيال في الحدّ من عزيمة المحور على اكمال عملية بنائه، سيّما بعد استشهاد الحاج قاسم سليماني والحاج أبو مهدي المهندس، وغيرهم من القادة الميدانيين في سوريا والعراق وإيران. واليوم، بدأ الكيان الصهيوني المؤقت ومعه الولايات المتحدة سلسلة الاغتيالات التي قد تستمر وتتجدّد، وفي ساحات جديدة، يتوقعها المحور، لكن نتائجها ستتّسم بعدم الفاعلية والكفاءة، والتجربة هي الدليل.

عندما فقدت المقاومة أمينها العام، السيد عباس الموسوي، في أوائل التسعينيات، كانت المقاومة في جنوب لبنان ما زالت تعيش مقدماتها الأولى، ومع ذلك نمت وتطوّرت، وتجاوزت كل تداعيات الاغتيالات التي تعرّضت لها طوال العقود الماضية، لأنها حركة ترتكز على المسيرة والنهج، كما هو حال بقية حركات المقاومة في المنطقة، التي عزّزت تماسكها والتحامها البنيوي مع الشعب. وفي حين حدّد الإسرائيلي ضمن أهدافه الأولى ما بعد طوفان الأقصى هدف القضاء على حركة حماس متوعّدًا باغتيال قادتها وكوادرها، إلا أنه هدف واهم غير واقعي لأن حركة المقاومة الفلسطينية، وكبقية الحركات، حركة فكرية عقائدية سياسية وشعبية لا يؤدي اغتيالات قادتها إلى القضاء عليها، وهل نجحت تجربة برنامج فينيكس الأمريكي في القضاء على المقاومة الفيتنامية أو نجحت الاغتيالات الإسرائيلية في القضاء على المقاومة الفلسطينية أو اللبنانية؟ واليوم، تختلف العوامل والظروف المحيطة بحركات المقاومة التي تنامت وتطور أداؤها السياسي والعسكري، وباتت أكثر قابلية للتكيف مع المستجدات المتغيرة والطارئة على الأرض، وأكثر امتهانًا للمناورة والاستفادة من نقاط المرونة إلى حد كبير، إضافة إلى تطوير تدابير وتكتيكات مضادة، وفي طليعتها احتضان البيئة المقاومة ومشاركتها استراتيجيات الصمود والتكيف مع الضغوط.